الأبعاد الحجاجية لمعجم الكلمات والألفاظ القرآنية

– دراسة في نماذج –

the argumentative dimensions of the dictionary of Koranic words

– study models-

بوديلمي صلاح الدين,[1]

Salah. Boudilmi

Salah. boudilmi@yahoo.fr

جامعة المسيلة-

Msila Univresity

تاريخ الإيداع: 2019/07/10 . تاريخ القبول: 2019/12/26 تاريخ النشر: 18/ 06 / 2020

ملخص: إنّ الفضاء المُعجمي يدعمُ المتحاجّين أثناء العمليّة الحجاجيّة في تمتين الخطاب الحجاجي ويقوّيه، فهو يتيح الفرصة لبسط الحجج بسطاً منطقيّا وفي نفس الوقت هذا البسط يتميّز بقوّة اللّفظ المستخدم، فالألفاظ لا قيمة لها بذاتها؛ إنّما تكسب أبعادها ودلالتها ضمن التّراكيب المختلفة والمتعدّدة، وقد ورد في القرآن الكريم مجموعة من المفردات والألفاظ تحمل بعداً حجاجيّا مهما يتفاعل معها المتلقي، فكانت هذه المفردات والكلمات مشحونة بقوّة تعبيريّة نتج عنها آثار نفسيّة قوية على المتلقي، وتأتي هذه المفردات ذات البعد الحجاجي لاستمالة المتلقي والتأثير فيه بغية حمله على الإذعان للأطروحات القرآنية.

Abstract :In argumentative contexts, the competitors make use of infinite lexicon amplitude to strengthen their discourses, as the lexicon provides the opportunity to demonstrate the arguments logically and precisely. However, words alone are meaningless. Indeed, words earn their significance when they are contextualized and used within various structures. In the holy Quran, the used diction in fact carries lexis and terms which hold a plausible argumentative dimension, thereby affecting enormously the psychological sides of

[1] المؤلف المرسل: د، صلاح الدين بوديلمي، الإيميل : salah .boudilmi @yahoo.fr

the recipients. Hence, these argumentative words and expressions are to influence the recipients so as to capitulate them to the Quranic thesis

أولا : مفهوم الكلمات الحجاجية

المفهوم الحجاجي للكلمة يقتضي أن نأخذ في الاعتبار الدور الدلالي في التأثير والإقناع وفي حمل متلقّي القرآن الكريم على التسليم بالأطروحات المعروضة عليهم فيه، فالكلمات الحجاجية إذن هي: " الوحدات المعجمية – الصرفية – الإعرابية معا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة لعضها مستمدٌّ من اللغة نفسها وبعضها متأتٍّ من الاستعمال والتداول "**(1)**.

ثانيا : الأبعاد الحجاجية لبعض الكلمات القرآنية

1- البعد الحجاجي لكلمة [الكافرون]

لفظة [**الكافرون**] مشتقّة من الجذر : [ك/ف/ر]، وهي من أكثر الألفاظ ورودا وتواترا في القرآن الكريم، والكفر في اللّغة " التّغطية يقال لليل كافر لأنّه يغطّي كلّ شيء بظلمته، ويقال للزّارع كافر لأنّه يغيّبُ البذر في الأرض "**(2)**، ولعلّ أهمّ مقتضيات لفظة الكفر هو "جحود النّعمة"**(3)**، وعلى هذا الأساس جاء وصف من لم يؤمن برسالة محمد [صلى الله عليه وسلم] بالذين كفروا، وهذا يقتضي " حقيقة الرّسالة المحمّديّة على أنّها حقٌّ قائم ونعمة سابغة "**(4)**، فمخاطبتهم بلفظة (**الكافرون**) هي استفزاز معنويٌّ لهم ومحاولةٌ قرآنيّة لإقناعهم بضرورة العدول عن هذا الكفر، وأنّهم بكفرهم يكونون قد فوّتوا فرصة كبرى تتمثّل في السّيادة الدّنيويّة والنّجاة في الآخرة.

ويشير **عبد الله صولة** إلى أنّ " المقتضى من (**الكافرون**) هو حقيقة كون الله واحداً ومحمّد رسوله، وكون ذلك هو النّعمة المكفور بها، مبطلاً قول المشركين : إنّ محمّدا ساحرٌ كذّاب "**(5)**، إذن فالدّلالة التّي تشير إليها لفظة (**الكافرون**) هي كون هؤلاء المخاطبين قرآنيّا واقعون في خطأ جسيم، وهو أنّهم أخرجوا أنفسهم من دائرة الحقّ الذي يمثّله التّوحيد والإيمان بالرّسول، وجعلوا لأنفسهم دوائر من الباطل الذي يتمثّل في الشّرك والكفر بالنّبوّة والمعاد.

والملاحِظ للخطاب القرآني الموجّه للمشركين يجد أنّه يعدلُ عن وصفهم بالمشركين، ويصفهم بالكافرين أو الذين كفروا أو بصفات أخرى من قبيل: **الظالمون**/**الفاسقون**/**المجرمون** .. الخ، ويعود السّبب في ذلك أنّ لفظة (**مشركون**) لا تسبّب أي أثر نفسيّ مختلف لدى هؤلاء، فالقرآن الكريم يخبرنا بأنَّ المشركين لا يتحرّجون من وصفهم بذلك، ذلك أنّهم متصالحون مع أنفسهم في هذه القضيّة ومقتنعون تمام الاقتناع

بأنّ الشّرك دين صحيح، يقول الله [عزّ وجلّ]: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾**(6)**، إنّ هذه الآية تبيّن لنا أنّ المشركين لا يرون في شركهم خطأ أو نقيصة، بل يتعجّبون كلّ العجب ممّن يدعو إلى إله واحد، وعلى هذا الأساس وصفهم القرآن الكريم في مواضع عديدة بلفظٍ يزعجهم ويستفزّهم ويؤثّر على نفسيّاتهم ألا وهو لفظ (**الكافرين**)، وفي هذا يهدف القرآن الكريم إلى أن يجعل هؤلاء المشركين يعيدون التّفكير في مسلّماتهم ويتساءلون مجدّدا عن قناعاتهم التي تقضي بوجود إله يستحقّ العبادة غير الله [عزّ وجلّ].

يقول **الطّاهر بن عاشور**: " ونودوا بوصف الكافرين تحقيرا لهم وتأييداً لوجه التّبرّؤ منهم وإيذاناً بأنّه لا يخشاهم إذا ناداهم بما **يكرهون** ممّا يثير غضبهم "**(7)**، ويؤكّد هذا ما نقله **القرطبي [ت671هـ]** عن **ابن الأنباري** حيث يقول: " وما يقصده الله هو أن يذلّ نبيُّه المشركينَ بخطابه إيّاهم بهذا الخطاب الزرِي، وإلزامهم ما يأنف منه كلّ ذي لُبٍّ وحِجا، وقد كان الرّسول يعتمدهم في ناديهم، فيقول لهم: (**يا أيّها الكافرون**) وهو يعلم أنّهم يغضبون من أن ينسبوا إلى الكفر ويُدْخلوا في جملة أهله "**(8)**. ولعلّ هذا العدول من صفة (**المشركين**) إلى صفة (**الكافرين**) قد أدّى غرضه الحجاجي لدى بعض المخاطبين من قريش، فآمنوا فيما بعد بالرّسالة وعدلوا عن شركهم وكفرهم بالله وبرسوله.

2- **البعد الحجاجي لكلمة [قريش]**

في خطابه المخصوص الموجّه لمشركي مكّة استخدم القرآن الكريم لفظة [**قريش**] وهي القبيلة التّي كانت تقطن مكّة المكرّمة، ولم يتوقّف القرآن الكريم عند ذكر اللّفظة وفقط، بل تعدّاها إلى تسمية سورة بأكملها بهذا الاسم، سعياً منه لاستماله المشركين، والتّأثير في نفوسهم لعلّهم يؤمنوا بالرّسالة المحمّديّة، وفي هذا يقول الله [عزّ وجلّ]:﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾**(9)**، واللّفظة ذكرت في القرآن الكريم في قول الله [عزّ وجلّ]: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ٤ ﴾**(10)** .

وأصل كلمة (**قريش**) من " التّقرش وهو التّجمّع؛ يقال : تقرّشوا أي تجمّعوا. والتّقريش مثل التّحريش. وقيل : من الكسب؛ يقال: تقرّش أي تكسّب، وكانت قريشٌ قوماً تجّاراً مكتسبين "**(11)** هذا من الجانب اللّغوي، أمّا في الاصطلاح فإنّ قريشا هي مجموع القبائل والبطون العربيّة التّي استوطنت مكّة المكرّمة وجاورت بيت الله الحرام، وهي " قبيلة من أشرف القبائل، من بني النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكلّ من كان من ولد النّضر فهو قرشيٌّ دون ولد كنانة فما فوقه "**(12)**.

إنّ الخطاب القرآني بتسميته سورة من القرآن بلفظة (**قريش**) يحاول أن يؤثّر إيجابيّا في نفوس المشركين

القاطنين بمكة المكرّمة، ذلك أنّه ذكر قبيلتهم في سياق " تذكيرهم بنعمة الله عليهم إذ يسّر لهم ما لم يتأتّ لغيرهم من العرب من الأمن من عدوان المعتدين وغارات المغيرين في السّنة كلّها بما يسّر لهم من بناء الكعبة وشرعة الحجّ وأن جعلهم عُمّار المسجد الحرام وجعل لهم مهابةً وحرمةً في نفوس العرب كلّهم في الأشهر الحرم وفي غيرها "**(13)**. ومن هذا المنطلق فبذكره لاسم قبيلتهم بالذّات يؤثّر في نفوسهم، وإذا تأثّروا وآمنوا فإنّ كلّ قبائل العرب تبعٌ لهم، فهم كانوا يمثّلون العاصمة الدّينيّة لجزيرة العرب، كونهم سدنة الكعبة وخُدّام بيت الله الحرام قبلةِ العرب جميعا.

3- <u>البعد الحجاجي لكلمة [أمّ القرى]</u>

ورد في القرآن الكريم لفظة **أمّ القرى** في قوله [عزّ وجلّ]: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ٩٢ ﴾**(14)**، و قوله [عزّ وجلّ]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ٧ ﴾**(15)**، وقد أجمع المفسّرون على أنّ **أمّ القرى** يُقصَدُ بها مكّة المكرّمة. وقيل سمّيت أمّ القرى: " لأنّ الأرض دُحيت منها، أي بسطت. وقيل سمّيت بذلك لأنّ فيها أوّل بيت وضع للنّاس. وقيل سمّيت بذلك لأنّها تقصد من كلّ قرية "**(16)**.

وذكر **الزّجاج [ت311هـ]** أنّها سمّيت بأمّ القرى لأنّها " كانت أعظم شأنا "**(17)**. وقيل في سبب تسميتها كذلك أنّها " قبلةُ أهل الدّنيا، فصارت هي كالأصل وسائر البلاد والقرى تابعةٌ لها، وأيضا من أصول عبادات أهل الدّنيا الحجّ، وهو إنّما يحصل في تلك البلدة، فلهذا السّبب يجتمع الخلق إليها كما يجتمعُ الأولاد إلى الأم، وأيضا فلمّا كان أهل الدّنيا يجتمعون في سائر البلاد، ولا شكّ أنّ الكسب والتّجارة من أصول المعيشة، فلهذا السّبب سُمّيت مكّة أمّ القرى "**(18)**. ونستطيع أن نطلق على مكّة المكرّمة وصف (**العاصمة**) الذي هو مصطلح حديث يُقصد به المدينة الرّئيسيّة في البلد، والتّي يقطنها القيادات السّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة بحيث ينطلق منها القرار متّجها نحو المدن المجاورة المنظوية تحت راية هذا البلد.

إذن فمكّة المكرّمة كانت تعتبر العاصمة الدّينية للجزيرة العربيّة، فكانت تشكّلُ مرجعاً دينيّا واقتصاديّا لكلّ قبائل وقرى العرب المجاورة، يقول **الطّاهر بن عاشور** : أمّ الشّيء استعارة شائعةٌ في الأمر الذي يُرجع إليه ويُلتفُّ حوله، وحقيقة الأمّ الأنثى التّي تلد الطّفل فيرجع الولد إليها ويلازمها، وشاعت استعارة الأمّ للأصل والمرجع حتّى صارت حقيقةً، ومنه سُمّيت الرّاية أمّا، وسمّي أعلى الرّأس أمّ الرّأس، والفاتحة أمّ القرآن "**(19)**.

إنّ ورود لفظة (**أمّ القرى**) في الخطاب القرآني الموجّه للمشركين له أبعاد حجاجيّة متعدّدة نذكر منها:

- فيه تذكير لقريش بالمسؤوليّة الملقاة عليهم، فهم يمثّلون قيادةً مركزيّة لجزيرة العرب، وعلى هذا الأساس فإنّه من الواجب عليهم أن يتّبعوا الحقّ لأنّهم يمثّلون قدوةً لغيرهم من القبائل.

- اقترنت مفردة (**أمّ القرى**) بفعل الإنذار، ذلك أنّ الخطاب القرآني يريد أن يقع تأثير الفعل (**لتنذر**) موقعا قويّا في نفوس القبائل المجاورة لمكّة، لأنّهم إذا سمعوا " ذلك التّحذير والإنذار أوقع في نفوسهم ما لم يوقعه الإنذار المباشر، وهو يشبه مخاطبة الرّئيس وإرادة المرؤوس "**(20)**، ومثل ذلك في الحروب بحيث إذا سقطت العاصمة تتساقط المدن الأخرى تباعاً.
- داخل الملفوظ (**أمّ القرى**) طاقة حجاجيّة أكبر من الملفوظ (**مكّة**)، فلو كان الخطاب كالآتي : **(لتنذرمكّة ومن حولها)** لاستقرّ في ذهن المتلقّي بأنّ مكّة هي مدينة عاديّة مثلها مثل المدن المجاورة لها، فتكون الطّاقة الحجاجيّة للملفوظ أقلّ بكثير من المفردة (**أمّ القرى**).

4- <u>البعد الحجاجي لكلمة [الشّعرى]</u>

من أنواع حركة الملفوظ الحجاجي في القرآن الكريم نوعٌ يسمّيه **ابن النّقيب [ت698هـ]** " الاختصاص " **(21)**، ومنه قول الله [عزّ وجلّ]: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ ﴾**(22)**.

قال **ابن النّقيب**: " ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ ﴾ اختصّها دون سائر النّجوم؛ لأنّها عُبِدَت. وقيل إنّ النّجوم تقطع السّماء طولاً وهي تقطعها عرضا. وقيل لأنّ المنجّمين بطلوعها يتكلّمون على المغيّبات وما يُحدِثه الله في مُلكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طلوعها، وأنّ هذه الحادثات في كلّ عامٍ من تأثيرها؛ فردّ الله ذلك عليهم بإعلامنا بأنّها مُدبّرةٌ بتدبيره مُقدّرةٌ بتقديره متصرّفةٌ بمشيئته، إذ هو ربّها وربُّ كلّ شيء وهو على كلّ شيءٍ قدير "**(23)**.

و نقل **أبو حيّان الأندلسي [ت745هـ]** عن بعض المفسّرين أنّ " أوّل من عبد الشّعرى أبو كبشة أحد أجداد النّبي [صلى الله عليه وسلم] من قبل أمهاته، وكان اسمه عبد الشّعرى، ولذلك كان مشركو قريش يسمّونه [صلى الله عليه وسلم] ابن ابي كبشة، ومن ذلك قول أبي سفيان: لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كبشة "**(24)**.

بناء على ما سبق من يظهر لنا أنّ لاختيار الملفوظ (**الشّعرى**) أبعاداً حجاجيّة متعدّدة نجملها في أمرين:

- يأتي الملفوظ (**الشّعرى**) في سياق قرآنيّ يتضح من خلاله أنّ الله [عزّ وجلّ] يؤكّد بأنّ هذا النّجم ليس سوى مخلوق من مخلوقاته، وهو بهذا يحاول – أي الخطاب القرآني- " إبطال عبادة النّجوم من أصلها واقتلاعها من جذورها "**(25)**، فإذا كان الشّعرى هو أمّ النّجوم [عزّ وجلّ] فإنّ الله هو خالقه وخالق كلّ النّجوم والموجودات في هذا الكون.
- جاء ذكر (**الشّعرى**) لغاية حجاجيّة ثانية وهي فكّ الارتباط الحاصل في أذهان العرب بين دعوة الرّسول [صلى الله عليه وسلم] التّوحيديّة الإبراهيميّة، ودعوة جدّه لأمّه (ابن أبي كبشة) الذي

دعا العرب لترك دينها وعبادة النّجم المسمّى بالشّعرى، فالفرق شاسع بين الدّعوتين، فالأولى هي دعوةٌ لعبادة ربّ الكائنات والموجوداتن أمّا الثّانية في دعوة شركيّة لعبادة مخلوق من مخلوقات الخالق سبحانه.

5- **البعد الحجاجي لكلمة [بنو اسرائيل]**

ذكر **ابن عاشور** سبب التّسمية (**بنو اسرائيل**) فقال : " وإسرائيل لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم [عليهم السلام]، قال ابن عبّاس : معناه عبد الله، لأن [**إسرا**] بمعنى عبد و[**إيل**] اسم الله أي مركّب من كلمتين –إسرا- و –إيل- اسم الله تعالى كما يقولون بيت إيل"**(26)** ، وإسرائيل ذُكِرَ في القرآن الكريم مرّتين فقط، الأولى في سورة **آل عمران** والثّانية في **مريم**.

قال الله [عزّ وجلّ] : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨ ﴾**(27)**.

فنلاحظ أنّ الآية قد أشارت إلى ثلاث سلالات من الأنبياء هم كالتّالي:

- **السّلالة الأولى**: وهم الأنبياء من ذريّة آدم [عليه السلام]، فهو أبو البشر أجمعين.
- **السّلالة الثّانية**: وهم الأنبياء من ذريّة نوح[عليه السلام]، والذين نجوا يوم الطّوفان.
- **السّلالة الثّالثة**: وهم الأنبياء من ذريّة إبراهيم [عليه السلام]، والذّين ينقسمون إلى قسمين: أنبياء بني إسرائيل، وأنبياء بني إسماعيل.

ولعلّ السّبب في عدم ذكر الآية للفرع الإسماعيلي يعود إلى أنّه " هو الذي أنتج آخر الأنبياء وخاتم المرسلين محمّدا [صلى الله عليه وسلم]، فمازالت النّبوّة ممثّلة وممتدّة فيه "**(28)**، وهذه الآية إخبار عن الأنبياء الذين سبقوا خاتم النّبيين.

ويذكر **الآلوسي** أن الله تعالى " أضاف هؤلاء المخاطبين إلى هذا اللّقب- تأكيداً لتحريكهم إلى طاعته- فإنّ في (**إسرائيل**) ما ليس في اسمه الكريم – **يعقوب**- وقولك : يا ابن الصالح أطع الله تعالى، أحثّ للمأمور من قولك : يا ابن زيد – مثلا- أطع، لأنّ الطّبائع تميل إلى اقتفاء أثر الآباء - وإن لم يكن محموداً- فكيف إذا كان؟ ويُستعمل مثل هذا في مقام التّرغيب والتّرهيب- بناءً على أنّ الحسنة في نفسها حسنة - وهي من بيت النّبوة أحسن – والسّيئة في نفسها سيّئة- وهي من بيت النّبوة أسوأ "**(29)**.

لقد قرّر القرآن الكريم مخاطبة اليهود بأحبِّ الأسماء لديهم ففي " إطلاق بنو إسرائيل على ذريَّة يعقوب وقد تواترت التّسمية عشرات المرّات في القرآن الكريم تشريفاً لهم ورفعاً من شأنهم، إذ هو يدعوهم بأحسن أسمائهم التّي اختارها الله لأبيهم، وتُذَكِّرُ التّسمية، بالتّداعي، اللّحظة التّي بارك الله فيها أباهم وخلع عليه من اسمه وبشّره بكثرة النَّسل وعرش الملك، وتملُّك الأرض "**(30)**. إنَّ لقب بني اسرائيل يحوي دلالاتٍ وأبعاداً

حجاجيَّة واضحة فهي تذكِّر القوم " بما عليهم من واجباتٍ مستحقَّة تجاه الله مثل ضرورة عبادته ووجوب شكرانه على نعمه التّالدة ومنها عدم جحد نعمه الطّارفة المتمثّلة في بعثة الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم وفي نزول القرآن فلا ينبغي إذن أن يكونوا أوّل كافر به. معنى ذلك أنّ في دعائهم بـ **(بنو إسرائيل)** استدراجاً لهم إلى ساحة الإيمان برسالةِ محمَّد[صلى الله عليه وسلم]"**(31)**. وهو خطابٌ عادل بلا شكّ، ففيه استدراجٌ لهم للإذعان، وتهيئة نفسيّةٌ لهم للقبول بالحقّ والإذعان للوحي الإلهي.

وفي حديثه عن لفظ (**بني إسرائيل**) وضّح **الزّركشي [ت794هـ]** أنّ استعماله من قبل الخطاب القرآنيّ كان تحريضاً لليهود على القبول بالإسلام حيث يقول : " قد يكون للشّخص اسمان، فيقتصر على أحدهما لنكتة، منه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيّين (**يا بني اسرائيل**) ولم يُذكَرُوا في القرآن إلاّ بهذا دون (**يا بني يعقوب**).. وسِرُّهُ أنّ القوم لمّا خُوطبوا بعبادةِ الله، وذُكِّرُوا بدين أسلافهم، موعظةً لهم، وتنبيهاً من غفلتهم، سُمُّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه في التَّأويل، ولهذا لمَّا دعا النّبي صلّى الله عليه وسلّم قوماً إلى الإسلام يقال لهم 'بنو عبد الله' قال: (يا بني عبد الله، إن الله قد حسّن اسم أبيكم)، يحرّضهم بذلك على ما يقتضيه اسمه من العبودية "**(32)**. وهذا الأسلوب هو من باب التّحبيب وجلب المخالف إلى الإيمان.

إنّ ممَّا نستشفُّه من كلام **الزّركشي** أنّ القرآن الكريم يهدف إلى أن يتذكّر هؤلاء نعم الله عليهم، وأن يستجيبوا لداعي الله تعالى، فيتَّعظوا ويتنبّهوا من غفلتهم، فتسمية **(بني إسرائيل)** " تنطوي على أمل إرجاع المدعوّين بها إلى حظيرة الحقّ، وهي تسميةٌ فيها تشريفٌ للمسمّين بها وتكليفٌ لهم في الوقت نفسه بأن يكونوا في مستوى الرّسالة التي كان نهض لها أبوهم "**(33)**، وهي أن يكونوا مسلمين لله، مذعنين للحقّ حتى ولو كان النّبي من قوم مختلفين عنهم.

6- البعد الحجاجي لكلمة [أحمد]

يعدلُ الخطاب القرآنيُّ عن إيراد بعض الألفاظ ويستبدلها بأخرى لأغراض حجاجيّة محاولاً في ذلك حمل المتلقّي على الإذعان للأطروحات المتضمّنة في رسائله الخطابيّة والبلاغيّة، ومن ذلك عدوله عن ذكر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] باسم محمّد إلى أحمد وذلك في قوله [عزّ وجلّ]: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٦ ﴾**(34)**.

ولفظة (**أحمد**) يمكن أن نعتبر ورودها في الآية القرآنيّة " أنّه كان على وجه المجادلة والحجاج والبرهنة على صحّة بعثة محمّد [صلى الله عليه وسلم]، فهذا الاسم ورد في الإنجيل كما جاء في الآية الكريمة "**(35)**، ورغم

تحريف الأناجيل إلاّ أن ذلك لا يعني أنّ البشارة غير موجودة، " فبشارة المسيح بأحمد ثابتة بهذا النّص، سواء تضمّنت الأناجيل المتداولة هذه البشارة أم لم تتضمّنها. فثابتٌ أنّ الطّريقة التّي كتبت بها هذه الأناجيل والظّروف التّي أحاطت بها لا تجعلها هي المرجع في هذا الشّأن "**(36)**، غير أنّه ومن المقطوع المسلّم به: " أنّ كلمة أحمد أو ما يدلّ عليه كانت مضبوطةً في الأناجيل الموجودة زمان رسول الله بمقتضى الآية السّابقة، وإلاّ فقد كانت واقعة في مورد الاعتراض الشّديد والإنكار الصّريح من المخالفين من أهل الكتاب، وكان هذا أحسن مستمسكٍ لهم على الإسلام ورسول الله [صلى الله عليه وسلم] "**(37)**، إذ لو لم ترد البشرى في الإنجيل كما هي في الآية فسيتّخذها النّصارى حجّة ضد القرآن الكريم، ليشكّكوا في صدقيّته ونبوّة رسول الله.

غير أنّ تحريف الأناجيل لم يمنع من وجود بعض الإشارات إلى نبوّة أحمد[صلى الله عليه وسلم]، وهذا مكّن المجادلين المسلمين من حجاج أهل الكتاب والتّدليل على نبوّة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بواسطتها، فالإقرار بتحريف أهل الكتاب للتّوراة والإنجيل لم يمنع المجادلين من البحث فيهما عن البشارات بمحمّد، مثلما لم يمنعهم من الرّجوع إليهما لدحض ألوهيّة المسيح "**(38)**، ذلك أنّ الآثار التي حملتها الأناجيل كانت تشير إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فاهتمّ المجادلون " بالبشرى الواردة في الكتب السّابقة، فلم يغفلوا وهم يخاطبون النّصارى عن هذا الدّليل الذّي يعتمده هؤلاء في إثبات النّبوّة، فيرونه منطبقاً على عيسى وينكرونه على محمّد، بينما يسعى المسلمون إلى سحب انطباقه على نبيّهم في الدّرجة الأولى "**(39)**، فالآثار والكلمات في الكتاب المقدّس عن نبوّة محمّد [صلى الله عليه وسلم] حاول النّصارى قراءتها على غير حقيقتها وتأويلها تأويلات تؤدّي إلى تحريف فكرتها الأساسيّة، ممّا جعل علماء المسلمين ينشَطُونَ إلى الردّ على تلك التّأويلات وإثبات تبشير عيسى [عليه السلام] بخاتم الأنبياء.

ويذكر **ابن قيّم الجوزيّة** أنّ لفظ (**أحمد**) هو من أفعل " التّفضيل، أي هو أحمد من غيره، أي أحقّ بأن يكون محموداً أكثر من غيره، يقال : هذا أحمد من هذا: أي أحقُّ بأن يحمده من هذا، فيكون تفضيلا على غيره في كونه محموداً فلفظ (**محمّد**) يقتضي زيادةً في الكمّية، ولفظ (**أحمد**) يقتضي زيادةً في الكيفيّة، ومن النّاس من يقول معناه أنّه أكثر حمداً لله من غيره، وعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحمّاد، وعلى الأوّل بمعنى المحمود "**(40)**، ثمّ يضيف قائلا: " وعُرِفَ عند أمّة المسيح بأحمد الذّي يستحقّ أن يحمد أفضل ممّا يحمد غيره، والذّي حمده أفضل من حمد غيره "**(41)**، وهذا الاسم للنّبي [صلى الله عليه وسلم] يعدُّ اسما خاصّا به فقط، إذ "سُمّيَ غيره بمحمّد، ولكنّهم أشخاصٌ قليلة. لمّا سمع بعض الجاهليّة في أسفارهم إلى بلاد الرّوم أنّه خرج نبيٌّ اسمه محمّد سمّى جماعة منهم بنيهم بذلك، وأمّا أحمد فلم ينقل أنّه تسمّى به أحدٌ غيره، ولذلك قال عيسى [عليه السلام] ﴿ ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ فبشّر بالاسم الخاص "**(42)**، ممّا يعني أنّ هذا اللّفظ (**أحمد**) هو اللّفظ المذكور في الإنجيل بالضّبط، غير أنّ التّحريفات حاولت إخفاء هذه الحقيقة الدّينيّة.

وفيما يلي سنعرض بعضا من النّصوص التّي ورد فيها التّبشير بآخر الرّسل والأنبياء:

ورد في **إنجيل يوحنّا** : " إذا كنتم تحبّوني، حفظتم وصاياي وأنا سأسأل الآب فيهبُ لكم مؤيّدا آخر يكون معكم للأبد، روح الحقّ الذي لا يستطيع العالم أن يتلقّاه لأنّه لا يراه ولا يعرفه، أمّا أنتم فتعلمون أنّه يقيم عندكم ويكون فيكم "**(43)**.

وفي **إنجيل يوحنّا** أيضا " الكلمة التّي تسمعونها ليست كلمتي، بل كلمة الآب الذّي أرسلني، قلت لكم هذه الأشياء وأنا مقيم عندكم، ولكن المؤيّد الرّوح القدس الذّي يرسله الآبُ باسمي هو يعلّمكم جميع الأشياء ويذكّركم جميع ما قلته لكم"**(44)**.

وورد أيضا: " لقد أنبأتكم منذ الآن بالأمر قبل حدوثه حتّى إذا حدث تؤمنون، لن أطيل الكلام عليكم بعد ذلك لأنّ سيّد العالم آتٍ وليس له يدٌ عليّ "**(45)**.

ويشير الباحث **محمّد خليل ملكاوي** إلى أنّ بعض الطّبعات الأخرى للإنجيل ورد فيها بلفظ يوناني : " وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبتَ معكم إلى الأبد "**(46)**، و(**فارقليط**) " كلمة معرّبة عن الكلمة اليونانيّة باراكليتوس المترجمة عن الأصل العبراني؛ لأنّ لسان المسيح كان عبرانيّا، وأهل الكتاب في أحيانٍ كثيرة يترجمون الأسماء ويضعون بدلها معناها أو صفتها، فالكلمة اليونانيّة المعادلة لاسم أحمد ومحمّد هي بيركليتوس أو باراكلتوس، فكتب في التّراجم العربية فاراقليط أو باراكليت"**(47)**.

وينقل الباحث أيضا عن الأستاذ **عبد الوهّاب النّجار** أنّه سأل الدّكتور **نلينو الإيطالي** المتخصّص في آداب اللّغة اليونانيّة عن معنى كلمة بيركليتوس، فأجاب بأنّها " المعزّي .

- فقال له النّجار: أنا أسأل الدّكتور كارلو نلينو الحاصل على الدّكتوراه في آداب اللّغة اليونانيّة القديمة ولست أسأل قسّيسيا.
- فقال له كارلو نلينو: معناها الذّي حمد كثيرا .
- فقال له النّجار: هل ذلك يوافق أفعل التّفضيل من حمد؟
- فقال كارلو نلينو: نعم
- فقال له النّجار : إنّ رسول الله من أسمائه (أحمد) "**(48)**.

وينقل **جمال الدّين القاسمي** عن الأستاذ مارسيه وهو من (مدرسة اللّغات الشّرقيّة) قوله: " إنّ محمّدا هو مؤسّس الدّين الإسلامي، واسم محمّد جاء من مادّة حمد. ومن غريب الاتّفاق أنّ نصارى العرب كانوا يستعملون اسماً من نفس المادّة يقرب في المعنى من محمّد، وهو أحمد، لتسمية البراكليّة به. ومعنى أحمد صاحب الحمد، وهذا ما دعا علماء الدّين الإسلامي أن يثبتوا بأنّ كتب المسيحيّين قد بشّرت بمجيء النّبيّ

محمّد. وقد أشار القرآن نفسه إلى هذا بقوله عن المسيح : ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾، وقد قال اسبرانجيه : إنّ هذه الآية تشير إشارةً خاصّة إلى عبارة (إنجيل يوحنّا) حيث وعد المسيح تلامذته ببعثة صاحب هذا الاسم "**(49)**.

إنّ كلّ هذه النّصوص الدّينيّة والاعترافات من خبراء اللّغات الشّرقيّة تؤكّد بما لا يدع مجالا للشكّ بأن بشارة النّبي في الإنجيل ثابتة، وهذا ما جعل الآية الكريمة تبشّر باسمه (**أحمد**)، فهذا العدول من (محمد) إلى (أحمد) كان له غرضٌ حجاجي، يريد به الخطاب القرآني حمل النّصارى على الاقتناع بنبوّة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وذلك بذكر الاسم الذي ورد في الإنجيل وعلى لسان عيسى المسيح.

ويشير **الطّاهر بن عاشور** إلى أنّ معنى التّبشير الوارد في الآية هو الإخبار بحادثٍ يسرّ، وأطلق هنا على الإخبار بأمر عظيم النّفع لهم لأنّه يلزمه السّرور الحقّ فإنّ مجيء الرّسول إلى النّاس نعمةٌ عظيمة "**(50)**، ووجه إيراد هذا اللّفظ الإشارة إلى ما جاء في الإنجيل من وصفٍ لرسالة الرّسول الموعود به كآخر الأنبياء بأنّه بشارة الملكوت، إذ ورد في إنجيل متّى: " وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه "**(51)**، ولهذا التّوافق اللّفظي والمعنوي غرضٌ حجاجي أيضا. حيث سيكون لدى المتلقّي من النّصارى خصوصا من له علم بالإنجيل سيكون له بعد دراسة الأناجيل وعيٌ بوجود نبيّ مبشّر به سيأتي في آخر الزّمان، فهذه البشرى ستكون بمثابة تهيئة لتقبّل ما سيأتي به رسول الله [صلى الله عليه وسلم].

وختاما وبعد دراسة بعض النماذج القرآنية يمكن لنا أن نخلص إلى ما يلي :

- تميّز حقل الألفاظ القرآنية باستخدام كلمات ذات دلالات حجاجية تؤثّر بشكل حاسم في المتلقي، فهي كلمات محمّلة بتاريخها الدلالي الثري الذي اكتسبته من طويل تجربتها القولية بدخولها سياقات استعمال كثيرة ومختلفة.
- يعمد الخطاب القرآني إلى اختيار كلمة على حساب أخرى مما يرادفها أو يظنُّ أنه يرادفها، وهو بذلك يرمي إلى مزيد من التأثير على المتلقين على أساس أنّ الكلمة تلك أو المفردة المختارة أعلق بعالم خطابهم وأقوى تاثيرا على أذهانهم بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة أو من الاستعمال.
- إنّ كلمات المعجم القرآني كلمات نابضة حياة مشحونة بتاريخ لها اجتماعي وأدبي وديني، وهي تتنوّع بين ألفاظ عربية أساسا وأخرى معربة، وقد كان الاستعمال القرآني للألفاظ والمفردات ذات الأصل العربي والأخرى المعربة استعمالا هدفه التأثير وحمل المتلقي على الإذعان للأطروحات القرآنية، وبالتالي كانت هذه الألفاظ ذات أبعاد حجاجية وإقناعية متنوعة.

الهوامش

1- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان،

ط1، 2007م، ص68.

2- أبو هلال العسكري، **الوجوه والنّظائر**، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص409.

3- الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، دط، ص451.

4- ينظر:عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن**، سابق، ص118.

5- **المرجع نفسه**، ص119.

6- سورة **ص**، الآية: 04-05.

7- الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م،ج30، ص581.

8- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج22، ص534.

9- سورة **الأنبياء**، الآية: 10.

10- سورة **قريش** .

11- السّمين الحلبي، **عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج3، ص297.

12- **المرجع نفسه**، ج3، ص297.

13- الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، سابق،ج30، ص559.

14- سورة **الأنعام**، الآية: 92.

15- سورة **الشّورى**، الآية: 07.

16- مكّي بن أبي طالب القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، منشورات جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 2008م، ص2102.

17- الزّجّاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج2، ص271.

18- الفخر الرّازي، **مفاتيح الغيب**، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج13، ص86.

19- الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، سابق،ج7، ص372.

20- حيدر حسين عبيد، **أسماء مكة والمدينة المنورة في القرآن الكريم**، مقال منشور في مجلّة مداد الأدب، العدد: 04، ص148.

21- ابن النقيب، **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، ص320.

22- سورة **النّجم**، الآية: 49.

23- ابن النقيب، **مقدمة التفسير**، سابق، ص320.

24- – أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض/زكريا عبد المجيد النوني/أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج8، ص165.

25- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن**، سابق، ص231.

26- الطاهر بن عاشور، **التحريروالتنوير**، سابق، ج1، ص451.

27- سورة **مريم**، الآية: 58.

28- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشّخصيّة اليهوديّة من خلال القرآن تاريخ – وسمات- ومصير**، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1998م، ص21.

29- ينظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسّبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ج01، ص244.

30- عبد الله صوله، **الحجاج في القرآن الكريم**، سابق، ص225.

31- ينظر: المرجع نفسه، ص225.

32- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ج1، ص160-161.

33- عبد الله صوله، **الحجاج في القرآن الكريم**، سابق، ص229.

34- سورة **الصفّ**، الآية: 06.

35- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن**، سابق، ص232.

36- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003م، ج6، ص3557.

37- ينظر: حسن المصطفوي، **التّحقيق في كلمات القرآن الكريم**، مركز نشر آثار المصطفوي، طهران، إيران، ط1، 1385م، ج2، ص330.

38- عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي في الردّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر هجري**، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، دط، 1986م، ص508.

39- المرجع نفسه، ص479.

40- ابن قيّم الجوزيّة، **الضّوء المنير على التّفسير**، جمع: علي الحمد المحمّد الصّالحي، مؤسّسة النّور للطّباعة والتّجليد، عنيزة، السّعوديّة، دط، دت، ج6، ص57.

41- المرجع نفسه، ص54.

42- السّمين الحلبي، **عمدة الحفّاظ**، سابق، ج1، ص451-452.

43- **الكتاب المقدّس**، إنجيل يوحنّا (14/15-16-17)، ص337-338.

44- **الكتاب المقدّس**، يوحنّا (14/24-25-26)، ص338.

45- **الكتاب المقدّس**، يوحنّا (14/29-30)، ص339.

46- محمّد خليل ملكاوي، **بشريّة المسيح ونبوّة محمّد في نصوص كتب العهدين**، جامعة الملك سعود، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 1993م، ص240.

47- المرجع نفسه، ص240-241.

48- محمّد خليل ملكاوي، **بشريّة المسيح ونبوّة محمّد** ، سابق، ص242.

49- القاسمي، **محاسن التأويل**، ص5788-5789.

50- الطاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، سابق، ج28، ص181.

51- **الكتاب المقدّس**، متّى (14/24)، ص103.